لمحات حول نشرة دار الآثار العراقية عن

تاريخ قصر الاخيضر

لتوفيق الفكيكي
حاكم متفرد كربلاء

﴿ تأييد وتفنيد ﴾ لقد جالت أقلام الكتاب وتشعبت آراء الباحثين ممن شغفوا بالبحوث التاريخية بخصوص الوقوف على حقيقة تاريخ الاثر ذلك القصر الشامخ المنيف ، وقد تالت الهيئات الأثرية في ادوار مختلفة على زيارة هذا الأثر الخالد الدال على عظمة بانيه وواضع حجر أساسه فعادت دهشة وفي حيرة من امره واسراره المجهولة في مطاوي الزمن . وآخر ما ظهر في شأنه ما نشرتهُ دار الآثار العربية عندنا في نشرتها المعنونة (بالاخيضر) . وقد اسدت بذلك خدمة جليلة يقدرها لها هواة التاريخ حق قدرها ويشكرها عليها كل عراقي حريص على احياء مآثر السلف الصالح وهي وان بذلت جهداً كبيراً لاستجلاء ما غمض من أمره وتبسطت في عرض آراء ومذاهب المؤرخين والمنقبين بقصد كشف النقاب عن حقيقته التاريخية فانها لم تتج من الورطة ويا للاسف لانها أهملت أهم ناحية من نواحي التحقيق العلمي في أمثال هذه الموضوعات الهامة ألا وهي تمحيص الآراء والمذاهب التي أدلت بها بشأن تاريخ الاخيضر فقد اثبتتها على علاتها وضعف أسانيدها وغاية ما تذرعت به قولها في صحيفة (٣٣) :

« من الغريب ان تاريخ هذا القصر والحصن غير معلوم بالضبط ، بالرغم من ضخامة بنائه ودقة تخطيطه واهمية موقعه . لانه لا يوجد في القصر او الحصن كتابة تدل على شيء من تاريخه كما لا يوجد من كتب التاريخ والجغرافيا القديمة اشارات صريحة تدل عليه » . واعتبرت دار الآثار ان اقدم الاشارات التي تدل على الاخيضر بصورة اكيدة ترجع الى القرن السابع عشر حيث شاهده بعض الرواد من الاوربيين ثم اسرفت دار الآثار في حكمها على تاريخ الاخيضر بقولها

« ان كل ما يعرف عن تاريخ الاخيضر لا يتعدى في الحالة الحاضرة حدود التخمينات والفرضيات » ثم سرعان ما تهدم حكمها هذا وتتراجع عنهُ بصورة عجيبة بعد بسطها اجتهاد الباحثين والمحققين من المستشرقين وغيرهم وتتفق معهم فيما ذهبوا اليه وأجمعوا عليه من ان قصر الاخيضر هو من الآثار العربية الاسلامية بدون شك وريب كما يجده القارىء في صفحة

٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥ من النشرة المطبوعة في مطبعة الحكومة في سنة ١٩٣٧ باهمال التاريخ الهجري مع انها بحثت عن آثر عربي اسمه بالخط الكوفي والنشرة له تسمى دار الآثار العربية في العراق

وأغرب من هذا هو استغراب دار الآثار ان قصر الاخيضر بالرغم من ضخامته ودقة تخطيطه الخ ..غير معلوم فكأن الضخامة ودقة التخطيط من لوازم معرفة تاريخ الآثار والمنشئين لها ومواقيت الانشاء

وجل ما اعتمدت عليه من المصادر في استنتاجاتها التاريخية هي اقوال من نقلت عنهم فقط. وسنأتي على تفنيد معظمها وأهمها . مع انها لو رجعت الى اسفار التاريخ العربي الاسلامي لوجدت ضالتها وسقطت على الخبر ولتخلصت من الشكوك ونجت من الورطة على قدر الامكان ولكانت نتائج مجهودها أقرب الى الصحة وأبعد عن الخطأ وحدود الظن

والآن نثبت الآراء التي استندت اليها الدائرة المشار اليها ثم نقيم الحجة على زيف بعضها وتصحيح البعض الآخر منها وهاهي ذي على الترتيب

التحقيق التاريخي

قال السيد شكري الالوسي ان كلمة (الاخيضر محرفة من اسم (الاكيدر) وهو اسم امير من أمراء كندة أسلم في صدر الاسلام. فالقصر يجب ان يكون قد شيد من قبل الامير المبحوث عنه قبل الاسلام

وقال (موزيل) ان كلمة الاخيضر من القاب شخص معروف في التاريخ وهو اسماعيل بن يوسف (الاخيضر) حاكم اليمامة على الكوفة من قبل القرامطة (في اوائل القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي) وقال ان الاخيضر يجب ان يكون (دار الهجرة) التي اسست من قبل الحاكم المشار اليه

وقد لاحظ (ماسينيون) عند زيارته الاخيضر ان زيارته تشابه الزيارة الساسانية فاعتقد لذلك انهُ يجب ان يكون قد شيد من قبل ملوك ايراني قبل العهد الاسلامي في العراق ، لاجل احد ملوك الحيرة من اللخميين . وقال ربما كان (قصر السدير) الذي تغنّى به الشعراء هو الاخيضر نفسه .وقد أيد (ديولافوا) رأي ماسينيون من حيث الاساس واعتبر الاخيضر من المباني المشيدة قبل الاسلام في أواخر القرن السادس للميلاد. وقد قررت (المس جرترود بل) المستشرقة عند زيارتها الاخيضر سنة ١٩٠٩ انهُ من المباني الاسلامية لانها اكتشفت المسجد ولاحظت المحراب ورجحت ان يكون دونة الحيرة التي شيدت في عهد الامويين. اما موزيل واسكار روتير، وكرسويل فقد أيدوا رأي (المس بل) من حيث الاساس فاعتبروا الاخيضر من المباني الاسلامية . غير انهم اختلفوا في امر تثبيت تاريخ البناء بين اواخر القرن الاول واوائل القرن الرابع للهجرة

ولكن (كرسويل) لم يوافق على رأي (المس بل) في اعتبار الاخيضر من عهد الامويين بل قرر انهُ من عهد العباسيين ورجح ان يكون قد شيد في عهد عيسى بن موسى ابن اخي السفاح

والمنصور وابن عم المهدي وولي عهد المنصور وكان والياً على الكوفة . واما هوسفيد فقال — يجب ان يكون من مباني اوائل القرن الثالث للهجرة لانهُ وجد شبهاً بين ريازة الاخيضر وريازة سامراء . هذا كل ما جاء في النشرة من الاستدلال على تاريخ الاخيضر وان القائم بطبعها اكتفى بسرد هذه المطالعات على عواهنها قائلاً في صفحة ٤٢ منها (ان العلماء اصبحوا مجمعين تقريباً على القول بان الاخيضر من مباني العهد العربي الاسلامي وان اختلفوا في تقرير العصر الذي تم فيه تشييده)

ان البحث العلمي يقضي على الناشر تمحيص وتفنيد تلك المطالعات والملاحظات على ضوء التاريخ العربي الاسلامي وتثبيت النتيجة الصحيحة التي يدعمها البرهان التاريخي مهما امكن وذلك لئلا يقع طلاب الابحاث التاريخية والذين يهمهم معرفة آثار الماضين في حمأة الخطل

على أننا لا نكر أهمية التقاط المفيدة القيمة المثبتة في صفحة ٤٤و٤٥ من النشرة حول الريازة العربية الاسلامية واستنباط الحكم منها على عروبة الاخيضر

نقول : ان القول ما قاله المرحوم العلامة السيد شكري الآلوسي الاَّ في جهة واحدة وهي تعيين العصر الذي شيد فيه الاخيضر لانهُ قطع بأن التشييد كان قبل الاسلام مع ان الحقيقة التاريخية كانت خلاف ذلك كما سيطلع القارىء عليها مفصلاً حيث ذكر صاحب معجم البلدان في الجزء الرابع وفي الصفحة ١٠٧و١٠٨ ما يأتي :

(واحسن ما ورد في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في كتابه الفتوح وأنا حاكٍ جميع ماقاله على الوجه قال: بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد (رض) سنة تسع الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل [1] فأخذه أسيراً وقتل أخاه وقدم بأكيدر على النبي (ص) وعليه قباء ديباج بالذهب فأسلم أكيدر وصالح النبي (ص) على أرضه وكتب لهُ ولأهل دومة كتاباً وهو: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام ولأهل دومة ان لنا الضاحية [2] من الضحل [3] والبور والمعامي [4] والغفال [5] الارض والحلقة [6] والسلاح والحافر والحصن [7] ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر الثبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة لحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين. ثم عاد أكيدر الى دومة فلما مات رسول الله (ص) منع أكيدر الصدقة وخرج من دومة الجندل ولحق بنواحي الحيرة وابقى قرب عين التمر بناء وسماه دومة واسلم حريث بن عبد الملك أخوه على مافي يده فسلم له ذلك وعلى ذلك قال سويد بن الكاهي

(١) تقع في وادي القرى بين الشام والمدينة (٢) الضاحي البارز (٣) الماء القليل (٤) المعامي الارض المجهولة (٥) التي لا آثار فيها (٦) الدروع (٧) هو دومة الجندل المشار اليها

فلا يأمنن قوم زوال جدودهم كما زال عن خبت لطائن أكدرا

ثم قال صاحب المعجم : وقد روى ان أكيدر كان منزله أولاً بدومة الجيرة وهي كانت منازله وكانوا يزورون أخوالهم من كلب وأنهُ لمهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق الا حيطانها وهي مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وسموها دومة الجندل فرقة بينها وبين دومة الجيرة وكان أكيدر يتردد بينها وبين دومة الجيرة وهذا يزيل الاختلاف . ثم زاد صاحب المعجم قائلاً . وقد ذهب بعض الرواة الى ان التحكيم بين علي ومعاوية كان بدومة الجندل وبذلك يقول الأعور الشني

رضينا بحكم الله في كل موطن وعمرو وعبد الله مختلفان

وليس بهادي أمة من ضلالة بدومة شيخا فتنة عميان

هذا ما اثبته ياقوت في معجمه حول دومة الجندل اي الاخيضر وقد ايد ذلك شيخ المؤرخين الطبري في الجزء الرابع والصفحة ٢٢ من تاريخه في خبر فتح دومة الجندل من قبل خالد بن الوليد. ومما قاله: ولما بلغ اهل دومة مسير خالد اليهم بعد فتح عين التمر بعثوا الى احزابهم من كلب وغسان وتنوخ والضجاعم وهم على رئيسين اكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة وقد خالف اكيدر جماعته واعتزل الحرب مع خالد ولكن لم ينج منهُ وقد امر به فضربت عنقهُ ثم جعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض. وكان النصارى الذي امدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة وبالاخير تغلب عليهم المسلمون وتحصن اهل دومة في الحصن فلم يحصنهم حتى قتلهم خالد وسد بهم باب الحصن واقام خالد بدومة ثم رجع الى الحيرة وكان منها قريباً حيث يصبحها

ونظراً لما تقدم علم ان تاريخ دومة الجندل او قصر الاخيضر كان بعد الاسلام وبعد ارتداد اكيدر وعدم دفعه الصدقة اي الزكاة وبحيثه الى الحيرة في عهد ابي بكر الصديق . وبهذه الرواية التاريخية الموثقة بقول ثقاة المؤرخين يبطل قول المرحوم الألوسي في ان قصر الاخيضر شيده (الاكيدر) قبل الاسلام . وكذلك رأي المستشرق (ماسينيون) الذي بسطناه آنفاً والمتضمن ان هذا القصر قد شيد من قبل سنحاريب الثاني قبل العهد الاسلامي في العراق لاجل احد ملوك الحيرة من اللخميين اصح مفنداً ولا قيمة له ازاء هذه الحقيقة الناصعة

اما قول ماسينيون (او ربما كان قصر السدير الذي تغنى به الشعراء هو الاخيضر نفسه) فلا صحة لهُ ايضاً حيث ان قصر السدير هو الخورنق ومحل هذا القصر قرب ابي صخير اليوم ولم تزل اطلاله عبرة المعتبرين ويوجد ايضاً قصر (السديري) في منطقة الحياد بين العراق ونجد يعود الى عبد العزيز السديري احد عمال الحكومة السعودية والقصر الآن خربٌ. واما السدير الذي تغنى به الشعراء فلم يكن قصراً بل احد انهار الكوفة ومثله بارق وهو الذي عناه المتنبي بقوله

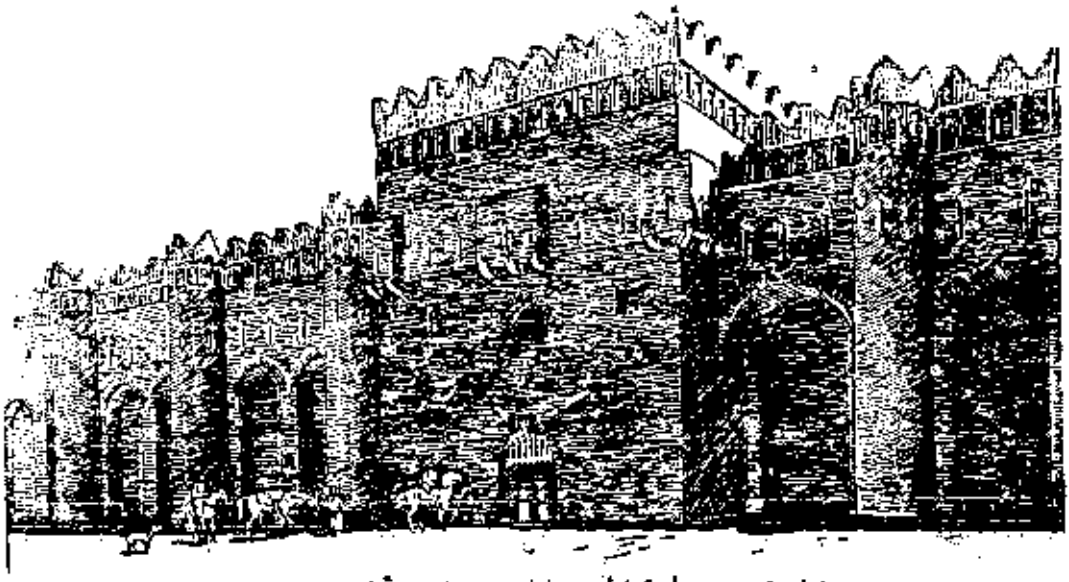

منظر تصوري لجهة الحصن الخارجية (عن أسكار روبتر)

رحبة قصر الاخضر (منظر تصوري للقسم الشمالي)

منظر جوّي للقصر والحصن مأخوذ من الجنوب

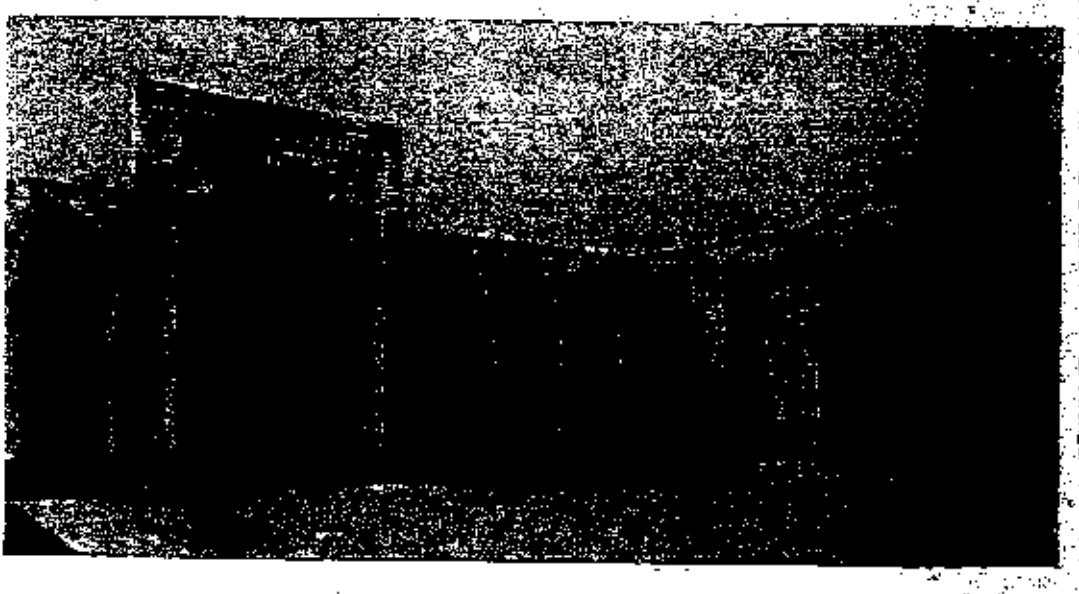

رسمة قصر الاخيضر (منظر تصوري للقسم الجنوبي)

[نقلت جميع هذه الصور عن نشرة دار الآثار العربية بالعراق]

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

وبهذا دحضنا قول كل من المستشرق (ديولافوا) مؤيد (ماسنيون) والمستشرقة (لس بل) فيما يتعلق بقولها : في ان الاخيضر هو دومة الجيرة المؤسسة في العهد الاموي في حيرة المناذرة. وعلى هذا سقط ايضاً ما فكر به المستشرق الشهير هرسفيلد الالماني من ان قصر الاخيضر من جملة اعمال الحكومة العباسية التي قامت بها في القرن الثالث والرابع من الهجرة لوجود الشبه بين ريازة بناء قصور سامراء والاخيضر . وبالوقت نفسه دفعنا شبهة المستشرق (كره سويل) التي دفعته الى القول بان الاخيضر قد شيد في عهد عيسى بن موسى بن اخي السفاح والمنصور الذي كان والياً على الكوفة مع ان عيسى بن موسى لم يكن ابن اخي السفاح وانما هو عيسى بن موسى الذي حكم الكوفة وطرد عمالها في عهد الخليفة المعتمد على الله وهو ابن أخت عبدان صاحب دعوة القرامطة بسواد الكوفة وهو الذي رأس طائفة القرامطة التي نجم قرنها في بلد عين التمر (شفاثه) بلد ابي العتاهية الشاعر الزاهد المشهور والقائل

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

. أما المستشرق موزيل فقد أخطأ خطأً كبيراً في ما قام به من التحقيق عن تاريخ الاخيضر وكدنا ان نقع في ما وقع فيه الاستاذ موزيل وكادت رواية المؤرخ العربي المسعودي تجعلنا في ضلال مبين كما أضلت موزيل من قبلنا ورواية المسعودي كما رواها في كتابه (التنبيه والأشراف) صفحة ٣٣٠ و ٣٣١ هي : —

ان القرمطي سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين قد سار سنة ٣١٣ الى الكوفة وبعد ان عمل بها ما عمل بالبصرة من سفك الدماء والتخريب قفل الى الاحساء بالذرية والثقلة وسلم البلد الى اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخيضر صاحب اليمامة بن ابراهيم بن موسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الخ

ثم ان المسعودي أيد في صفحة ٤٣٠ و ٥١٣ من كتابه مروج الذهب قيام « عقة » المعروف بني الاخيضر مقام محمد بن يوسف في اليمامة والبحرين بعد هروب محمد بن يوسف أخي اسماعيل بن يوسف المار الذكر من مكة المكرمة من وجه ابن الساج الأشروسي الذي بعثه الخليفة المعتز لأجل خلاص مكة من شره وشر أخيه اسماعيل الذي توفي قبله

وقد عزز هذه الرواية الاخيرة أيضاً الكامل لابن الأثير في صفحة ٥٣ من الجزء السابع وكذلك تاريخ الطبري من قبله في صفحة ١٣٦ و ١٥٢ من الجزء الحادي عشر الاّ أنهما لم يؤيدا المسعودي في ما ذكره عن تسليم بلد الكوفة الى اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخيضر ولم يتفقا معه في تسميته (بالاخيضر) بل لقباه (بالطالبي) فقط . وبنتيجة استقصاء البحث ظهر

ان الحق كان بجانب الطبري وابن الأثير بتأييد المسعودي نفسه فقد ذكر في كتابه (مروج الذهب) و (التنبيه والاشراف) ان وفاة اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخيضر كانت في سنة ٢٥٢ هـ في حين ذكر ان في سنة ٣١٣ هـ سلّم أبو طاهر سليمان القرمطي بلد الكوفة الى المومأ اليه . مع ان اسماعيل بن يوسف توفي في مكة المكرمة بعد أن فعل فيها الافاعيل المنكرة وخلفه بعده أخوه محمد بن يوسف والذي هرب من وجه ابن الساج الاسروسني قائد الخليفة المعتز . فأي الروايتين أصح يا ترى . واعتماداً على هذه الرواية قطع المستشرق «موزيل» في ان كلمة الاخيضر اسم شخص معروف في التاريخ . وهو اسماعيل بن يوسف المعروف بالاخيضر حاكم اليمامة على الكوفة من قبل القرامطة (في اوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي) فقال ان الاخيضر يجب ان يكون دار الهجرة التي اسست من قبل الحاكم المشار اليه

وقد مرّ بالقارىء الكريم كيف أثبت التاريخ فساد هذا الرأي وبطلانه وهذا برهان آخر على سقمه وهو ان دار الهجرة التي أسسها القرامطة لم تكن هي الاخيضر ولا في الكوفة او الحيرة وانما كانت في واسط على نهر « الموفقي » وذلك كما جاء في الجزء الثامن صفحة ٥٨ من كامل ابن الاثير . حيث ذكر ان من حوادث سنة ٣١٦ هـ . بناء دار الهجرة من قبل أحد زعماء القرامطة يدعى حريث بن مسعود وكان يتقلد الحرب في واسط والتحق به اكثر من عشرة آلاف من سواد الكوفة من الذين كانوا يخفون اعتقادهم مع طائفة أخرى تسكن عين التمر كانت تحت أمرة عيسى بن موسى الذي استولى على الكوفة وهزم عمالها في عهد الخليفة المقتدر بالله وهو ابن أخت عبدان صاحب دعوة القرامطة بسواد الكوفة وكان بناء دار الهجرة في (الموفقي) — بالضم ثم الفتح — منسوب الى الموفق ابن أحمد الناصر لدين الله بن المتوكل على الله وأخي المعتمد على الله ووالد المعتضد بالله وكان قد ولي عهد أخيه . والموفقي نهر كبير حفره الموفق وفي أعلاه (قصر بزوفر) وفي أسفله قصبة خسرو سابور قرب واسط وخسرو فيروز . كما جاء في معجم ياقوت صفحة ١٩٨ من المجلد الثامن

فأين هذا مما ذهب اليه المستشرق الاستاذ « موزيل »

هذا ولا يغرب عن بال الالباء ان حركات القرامطة في العراق وسورية والحجاز ومصر كانت عبارة عن اعمال عصابات وقطّاع طريق لم يتسع لهم الوقت او تستقر لهم حالة ليقوموا بمثل جبار مثل تشييد (دومة الجندل) او الاخيضر تلك المباني والآثار الخالدة . خاصة وقد استؤصلت شأفتهم وذبحوا عن بكرة أبيهم في العراق بعد سنة ٣١٧ هـ كما يخبرنا التاريخ . ومما يؤيد ايضاً زيف رأي موزيل ومن يذهب مذهبه ما نقله صاحب المعجم عن بعض الرواة الى ان التحكيم بين علي ومعاوية كان بدومة الجندل وبذلك يقول الأعور الشنّي

رضينا بحكم الله في كل موطن وعمرو وعبد الله مختلفان
وليس بهادي امة من ضلالة بدومة شيخا فتة عميان

اما المسجد والمحراب فقد احدثا بعد فتح دومة الجندل اي الاخيضر من قبل خالد بن الوليد وقيام عوسم بن الكاهل الاسلمي والياً على عين التمر وعليها بعد مسير خالد الى الحيرة والدليل ان المحراب لا يتناسب وضخامة القصر وحصنه . اما ماجاء في آخر صحفة (٣٦) من نشرة دار الآثار وهو (فليس من المعقول والحالة هذه الاقدام على استدلال تاريخ الاخيضر من اسمه فير وجيه لان الآثار قد تسمى باسماء مشيديها كما سمي قصر الجعفري نسبة الى جعفر المتوكل على الله و (الماحوزة) التي شيد فيها الجعفري وغيره من قصور المتوكل (بالمتوكلية) او (الجعفرية) وكما يطلق البغداديون اليوم على جامع مرجان كلة (مرجان) فقط وعلى قضاء الهاشمية التابعة الى لواء الحلة (الهاشمية) نسبة الى الهاشمي عبد الله السفاح و (اشناس) اى قصر اشناس قائد المعتصم المشهور وهكذا (المستعرية) إلى المستنصر بالله (والنظامية) الى النظام. وأشباه ذلك مما لا يدخل تحت حصر

على اننا نوافق دار الآثار على ما اوردته من الملاحظات الاخرى في اعلى الصفحة المذكورة وبسطنا بعضها في ماتقدم من البحث ولكننا لا نتفق معها في اتخاذها العقل حجة لاستدلالها على نفي نسبة (الاخيضر) المحرفة عن (الاكيدر) الى الملك اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحي بن اعيا ابن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن ايامة بن سلمة بن شكامة بن شيبة بن الكون بن اشرس بن ثور ابن عفير وهو كندة الكوني الكندي كما قدمنا وان كان اعتمادها على حجة العقل تؤيد ما ذهبنا اليه لأن العقل يصدق هذه النسبة ويبررها مع ان العقل لا يركن اليه في دراسة الآثار . لهذا كان على دار الآثار ان تصل الى معرفة (دومة الجندل) ومشيدها (اكيدر) من طريق البحث التاريخي وألاّ تكتفي بتسجيل استغرابها في صفحة (٣٣) بقولها (من الغريب ان تاريخ هذا القصر والحصن غير معلوم بالضبط الخ) ثم تعلل ذلك بحجة انهُ لا يوجد في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة اشارات صريحة تدل عليه واخيراً تردف قولها هذا بالجملة الآتية :

(ولهذا نستطيع ان نقول ان كل ما يعرف عن تاريخ الاخيضر لا يتعدى في الحالة الحاضرة حدود التخمينات والفرضيات » ولكن نقول لمن نشر نشرة (الاخيضر) لو اجهدت نفسك قليلاً في البحث والاستقصاء في الكتب الصفراء كما يعتها المجددون لوجدت ضالتك في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة كما نوهنا سابقاً ولعلمت ان قصر الاخيضر هو (دومة الجندل) وان مشيده هو (اكيدر) وان عصر تشييده هو العصر الاول من تاريخ الاسلام وفي عهد الخليفة الاول من الخلفاء الراشدين وليس هناك اية شبهة او تضليل . بيد ان الضلال هو تقليدنا واتباعنا كل ما يقول المستشرقون كوحي منزل بلا تمحيص وروية وآسفاه